شيء عن الحضارة الهلنستية :

ان فتوحات الاسكندر في الشرق كان لها اثرها في الحضارة البشرية من الناحية السياسية ومن الناحية الثقافية . تمثلت النتائج السياسية بتأسيس امبراطورية اوربية غربية ضمت اليها اقطار الشرق القديم المتمدن وتعد فاتحة النفوذ الاوربي في الشرق .

اما النتائج الثقافية لفتوح الاسكندر فتمثلت بنشر الحضارة الهيلينية في جميع الاقطار الشرقية فالتقت الحضارة الاغريقية بالحضارات الشرقية ونتج عن هذا الالتقاء اقتباس الشرق للحضارة الاغريقية وتاثر الحضارة الاغريقية والاغريق انفسهم بالحضارة الشرقية فتكونت الحضارة الشبيهة بالهيلينية أي الحضارة الهلنستية . ومن مظاهر الحضارة الهلنستية انتشار اللغة الاغريقية واستعمالها في معظم شؤون الحياة ومن امثلة ذلك ا ن اليهود الذين كانوا يعيشون في الاسكندرية قد ترجموا التوراة الى اللغة الاغريقية . وقد اشتهرت في هذا العهد جملة مدن منها الاسكندرية وانطاكيا وسلوقية ودورايوربس (الصالحية) وغيرها .

الفرثيون (٢٤٧ ق . م – ٢٢٦ م)

لا يعرف بوجه التاكيد اصل الفرثيين الاوائل ، الا انهم كانو من القبائل البدوية (الهندو اوربية) اذ ينتمون الى قبيلة بارني التي كانت تعيش حياة بدوية في السهوب الكائنة بين بحر قزوين وبحر ارال ، واشتهرت بالفروسية والحرب . واسم الفرثيين جاء نسبة الى الاقليم الذي استولوا عليه في ايران في اقليم خرسان وذلك في حدود عام ٢٥٠ ق . م . وقد اتخذوا احدى لهجات اللغة الفارسية المسماة البهلوية لغة لهم وكانت تكتب بالخط الارامي وكتبوها على رقائق الجلد .

المعروف عن تاريخ نشوء دولتهم انه ظهر بينهم في حدود عام ٢٥٠ ق . م قائدان اخوان هما ارشاق وتيريداتس ، وقد قاد هذان جموع الفرثيين واستوليا على اقليم كبير في جوار بلاد البخت (افغانستان) كما سيطرا على الاقليم المسمى بلاد فرثية وقتلا الوالي السلوقي هناك . بدأ ظهور الفرثيين كمملكة مستقلة في العهد السلوقي في منتصف القرن الثاني ق . م . واستمرت الحروب بين الفرثيين والسلوقيين على الولايات الشرقية . وبعد موت ارشاق الاول تفرد بالحكم اخوه تيريداتس الذي تمكن من توطيد المملكة الفرثية وتوسيعها الى الغرب ، وتحقق فتح العراق في عام (١٤١ ق .م) على يد الملك الفرثي مثريداتس الاول الذي يعد المؤسس الحقيقي للامبراطورية الفرثية ، شملت مملكته جميع ايران تقريبا وضم بلاد بابل واشور وسلوقية . وقد اسس الفرثيون في عهده عاصمة جديدة في العراق في طيسفون ، واصبحت امبراطوريته تمتد من بحر قزوين الى الخليج العربي . استمرت الحروب بين الفرثيين والسلوقيين وبين الفرثيين والاقوام الاخرى وتمكن مثريداتس الثاني (١٢٣ ق . م) الذي كان من اعظم قادة الفرثيين من تخليص المملكة من الاخطار التي احاطت بها . وان حكم الفرثيين في العراق لم يستتب الا في عام(١٢٦ ق . م) في عهد ملكهم

Scanned by CamScanner

ارطبان الثاني ، لقد استمر حكم الفرثيين في العراق زهاء ثلاثة قرون ونصف (١٤١ -١٢٦ ق . م - ٢٢٦ -٢٢٧ م) .

وبدخول الفرثيون العراق والاقاليم التي حوله اخذوا يقتبسون نظم الادارة القديمة لا سيما النظم السلوقية وكانت الامبراطورية الفرثية بوجه عام مقسمة الى امارات وممالك يحكمها حكام يعينهم الملك وتميزت دولتهم بكونها دولة اقطاعية وكانوا يهدفون الى استتباب السلم وحرية التبادل التجاري وقد حصلوا على موارد مالية من الضرائب والجزية والكمارك . وقد شيدوا بعض المدن الجديدة في العراق منها طيسفون التي كانت في عهدهم معسكرا للجنود وبنوا كذلك قرب مدينة بابل مدينة عرفت باسم اولغاشيا التي يعتقد بعض الباحثين انها مدينة الكوفة ، وكذلك اسسوا مدينة الحضر . وقد اظهرت التنقيبات في مدينة اشور عن وجود ابنية فخمة شيدها الفرثيون هناك وبقيت بابل مقرا مهما للفرثيين وكذلك اكبتانا .

وبعد استتباب امر الفرثيين في العراق نشأ بينهم وبين الرومان نزاع حاد على الشرق، فبعد تعاظم سلطة روما نشأت لها مصالح مهمة في الشرق للسيطرة على الموارد الاقتصادية وكانت الطرق التجارية المارة بأقاليم الهلال الخصيب من ابرز عوامل النزاع بين الرومان والفرثيين التي استمرت الى العهد الساساني .

ان تاريخ العراق في هذه الفترة يتميز بكثرة الحروب ولا سيما ما بين الفرثيين والرومان فقد اصبح العراق ميدانا كبيرا لهذه الحروب . لقد انتصر الفرثيون على الرومان في معركة حران عام (٥٣ ق . م) ، واصبح المجال مفتوحا امام الجيوش الفرثية لتتقدم الى سواحل البحر المتوسط وفتحوا سوريا ، وكانت هنالك معاهدة بين الطرفين بعد خسارة الرومان . شهدت الدولة الفرثية خلال عهد المعاهدة الكثير من الاضطرابات والانقسامات بين القبائل الفرثية وكذلك مؤامرات على العرش ،الى ان تسلم العرش ارطبان الثالث (١١ – ٣٨ م) الذي كان قويا بحيث عادت الاحوال الطبيعية الى الدولة الفرثية . . وعاد الرومان الى التدخل ثانية في شؤون المملكة الفرثية حتى ظهر الامبراطور الروماني تراجان فبرزت لروما فكرة التدخل واخضاع الاقاليم الفرثية فانتهت بذلك فترة السلم بين الإمبراطوريتين ، وكثير ما تصادمتا وقد حاصر تراجان مدينة الحضر لكنه لم يستطع فتحها لشدة المقاومة ومناعة اسوارها فعاد الى نهر دجلة لكن الفرثيون سدوا عليه الطريق واحاطوا به فحلت الكارثة به وبجيشه وفقد حياته بعد ان كان يحلم بغزو الهند ، مما اضطر خليفته هدريان الى التنازل عن جميع الاقاليم التي فتحها سلفه الى الفرثيين ، وقد انتهت المعركة بعقد معاهدة صلح ثانية في سنة (٢١٧ – ٢١٨ م) وان يكون نهر الفرات الحد الفاصل بينهما . لقد ادت الحروب المستمرة مع الرومان والنزاعات الداخلية على العرش الفرثي وتمرد امراء الاقطاع وثورة امراء فارس على الدولة الفرثية وعلى راسهم ثورة اردشير بن بابك الساساني حاكم اقليم فارس الذي

Scanned by CamScanner

قضى على الدولة الفرثية في عهد ملكها ارطبان الخامس عام (٢٢٦ م) وتوج نفسه ملكا واصبح العراق تحت حكمه .

من اهم المدن والحصون التي نشأت معظمها عند الحدود الفاصلة بين الامبراطورية الفرثية والرومانية هي انطاكيا وحران والبتراء وتدمر والحضر .

جوانب من الاحوال السياسية والاجتماعية للدولة الفرثية :

ان نظام الحكم في العهد الفرثي كان نظاما قبليا يحكم كل قبيلة رئيس ينتخب من الاسر النبيلة ويساعده مجلس شورى من الوجهاء والرجال المحاربين . لقد كانت التقاليد القديمة ومنذ عهد الاخمينيين ان تحكم ارجاء الامبراطورية على شكل ولايات من قبل حكام يعينهم الملك . ان الفرثيين قسموا الامبراطورية الى ولايات او مقاطعات عددها ثمانية عشر ولاية ولعل لهذا السبب اطلق المؤرخون العرب على عهد الحكم الفرثي مصطلح ملوك الطوائف ، وكان لكل ولاية شيء من الاستقلال الذاتي في ادارة الشؤون الداخلية ما دامت تؤدي الاتاوات في اوقاتها وتبعث برجالها للقيام بالخدمة العسكرية في جيش الملك . وقسمت الاراضي الزراعية الى قطائع شاسعة تولى امرها اشراف المملكة والنبلاء ، اما صغار الفلاحين الذين كانوا يملكون اراضي زراعية فكانوا يؤدون الاتاوات من المحاصيل الى الحكام .

التسامح الديني

كان الفرثيون متسامحين مع الديانات الاخرى وكانت ديانتهم تتمثل بعبادة الهة متعددة مثل الاله مترا والالهة اناهيتا والاله اهورامزدا وغيرهم ، اذ بنيت لهذه الالهة المعابد وقدمت لها القرابين ، لقد سار الفرثيون في عبادتهم على التوافق ما بين الالهة ، اما الديانات الاخرى الجديدة ومنها اليهودية والمسيحية كانت قليلة الاثر للاقوام الفرثية . ان الخليط السكاني والمزج الحضاري وجد ارضا صالحة للعبادات المختلفة حتى ان الفرثيين لم يتاثروا كثيرا بالتعاليم الزرادشتية فلم يتبعوا في دفن موتاهم عادة الدولة الاخمينية في تعريض جثث الموتى فوق الجبال والمرتفعات للطيور الجارحة والعوامل الطبيعية ، بل اتبعوا طريقة دفن اعتيادية ، وهذا يظهر في كثير من القبور المكتشفة والتوابيت الكثيرة المزججة والمجصصة التي تشبه الاحذية وكذلك الاشكال المستطيلة للقبور واكتشفت انواع عدة من القبور والمدافن . كانت الجثث فيها على وضعها الطبيعي بمختلف الاتجاهات والاوضاع .

اما المعابد الفرثية فلا توجد لها بقايا في الهضبة الايرانية ولكن توجد في المقاطعات او الاقاليم الخارجية واعظم ما يمثل هذه المعابد التي اكتشفت في الحضر وفي الوركاء ، كما ان المعابد القديمة في المدن قد جددت ابنيتها مثل معبد اشور في مدينة اشور ومعبد نابو في بورسبا ومعبد مردوخ في بابل .

الفن في العهد الفرثي :

Scanned by CamScanner

اما الفن الفرثي فليس هنالك فنا فرثيا خالصا وانما هنالك اساليب اقليمية متباينة اذ يمكن القول ان الفن الفرثي تفاعل بين فنون العراق وهضبة ايران والفن الاغريقي اذ ان الامبراطورية الفرثية امتدت الى اقليم شاسعة ومقسمة الى دويلات لكل منها استقلالها الذاتي ولكل شعب منها لغته ونظامه الخاص واسلوبه الفني ، كما ان الفرثيين اصطبغوا بالصبغة الهيلينية حتى ان ملوكهم لقبوا انفسهم بمحبي الهيلينية ، وقد انعكس ذلك بشكل واضح على نقودهم التي تعد اهم القطع الفنية وكانت ذات صبغة يونانية بحتة في بداية ظهورها اذ نرى ان الملوك كانوا حليقي اللحى ثم ظهروا باللحية الايرانية التقليدية .

وكان الفن الفرثي في بداية حكم الفرثيين ذات مستوى فني ضعيف ثم اخذ منحى اخر عندما امتزج بالفن الهيليني وبذلك اصبح مميزا ومتقدما ، ويعد الفخار من اجمل تلك الفنون فالمزهريات والاكواب ذات الالوان المتعددة كانت تستعمل للحاجيات البيتية وكانت توضع في القبور ايضا ، وكذلك التماثيل الفخارية للالهة العارية وكذلك الخيالة الذي وجد عدد هائل منها في تلك الفترة وهنالك اعتقاد في ان تماثيل الخيالة استعملت لحماية المعابد . كما ان مادة الجص تطور استعمالها وشاع في هذا العهد لا سيما في صناعة التوابيت بعد ان تخلط بقليل من الرمل كما استعملت في صناعة التماثيل الصغيرة المستعملة في اغراض دينية .

ومن الاثار المؤرخة للعهد الفرثي التي عثر عليها في مواقع مختلفة من العراق تماثيل انثوية لنساء عاريات بوضعيات متنوعة ، من نماذجها امرأة عارية تضع يديها على ثدييها او اسفلهما ، وقسم اخر لامرأة يديها ممتدة على الجانبين او تحمل طفلا ، وكذلك تماثيل لنساء يرتدين ملابس واشخاص يحملون الالات الموسيقية وتماثيل نساء مضطجعات وتماثيل ذكرية تمثل هرقل واشخاص متعبدين ومحاربين ورؤوس بعض الاشخاص فضلا عن مجموعة من تماثيل الفرسان والدمى الحيوانية .

ومن الاثار المهمة في هذا العهد هي التوابيت التي عثر على نماذج منها في موقع التل الشرقي في مدينة بابل اذ كشف عن مقبرة جماعية مشيدة بالاجر في باطن الارض على شكل سرداب يوصل اليه بسلم تتألف من ممر وسطي مقبأ على جانبيه ثلاث مدافن مقببة بالاجر عثر في داخل احداها على تابوت فخاري مزجج وعثر في هذه المقبرة على مصوغات ذهبية فيها صورة تايخة (حامية المدن) وخواتم واقراط وقلائد ، كما عثر على مثل هذه التوابيت في بابل وتل اسود ونفر ، وكشف ايضا عن توابيت بيضوية او مستطيلة الشكل من الفخار المزجج بعضها له غطاء من الفخار او تغطى بأجرة كبيرة وهنالك توابيت تشبه الحذاء له فتحتين احدهما لادخال الميت والاخرى لسحبه لداخل التابوت ، كانت بعضها مزينة بشكل ظفائر او بصورة امرأة عارية تقليدا للالهة افروديت واحداها مزين بشكل فارس متكئ على اريكة ممسكا بقدح وبعضها زين بصورة امرأة ورجل مضطجعين او بصورة نزاع بين محاربين . واستعملت الجرار الفخارية في الدفن بعضها

Scanned by CamScanner

لدفن الاطفال ، كما استعملت الحفر البسيطة البيضوية او المستطيلة للدفن . وقد شملت مواد الدفن الاواني والجرار والقوارير وكذلك خرز من العقيق واللازورد كما عثر على وريقات ذهبية مثقبة في الوسط تمثل قلادة كما وجدت حول بعض الجماجم طبقة رقيقة جدا من الذهب وكذلك عثر في بعض القبور على مسكوكات ومسارج من الفخار .

ان معاهدة الصلح بين الفرثيين والرومان عام (٢١٧ -٢١٨ م) كان لها اثر واسع على الامبراطورية الفرثية وعلى العراق بوجه خاص اذ ادت الى انتعاش الحياة الاقتصادية وكثرة الثروات واتساع التجارة والسيطرة على معظم الطرق التجارية التي تربط العالم الغربي باسيا . وكان العراق من اشهر المراكز التجارية الذي يربط ما بين الشرق والغرب وكانت المدن الرئيسة التي انشأها الفرثيون تعد الخطوط الرئيسة للتجارة الدولية ومركز مهما لتسيير القوافل فقد كانت طيسفون مركز مهما للتجارة البرية التي تؤدي الى ايران والى بحر قزوين والى الهند والصين ،كما لعبت مدينة الحضر دورا مهما في نقل البضائع التجارية الى ارمينيا .اذ كانت التجارة الاتية عن طريق الخليج العربي من الهند وكانت تنقل الحرير والتوابل والخشب بواسطة القوافل عن طريق صاعد من مملكة ميسان جنوب العراق ، ومن المراكز التجارية المهمة التي تعد محطات تجارية تدمر والبتراء حيث سيطرت على تجارة البحر المتوسط .

ان الفرثيين اعتنوا بالتجارة وطرق القوافل وجنوا ارباحا وفائدة فأصبحوا المجهزين الرئيسيين للبضاعة التجارية الى كل انحاء العالم ، اذ نقلوا الحرير والاحجار الكريمة والتوابل والبخور والعطور والفاكهة وكذلك الخمور وبذلك اصبحوا اثرياء، وقد حاولوا اصلاح الطرق التجارية المارة بالصحراء فحفروا الابار وشيدوا المنازل واقاموا مراكز الحرس .

Scanned by CamScanner